مختـــار . . !

للدكتور سامى كمال

كان بالأمس ماردا ، قنوى اليوم راقدا . . . كان فلم يكن ولن يكون ، بعد ان أضاء على الانسانية جميعها بذلك النور الفنى الخالد .

لقد وصل ماضينا بحاضرنا و بمستقبلنا ايضا ، فكان الحلقة المتينة ، وملأ ذلك الفراغ الهائل المظلم القاتم الذى نام اثناءه ابو الهول ونام المصريون بجواره ، الى ان عادت اليهم الروح وثارت ثورتهم فهبط عليهم من السماء ، وكان قائداً لخيال ذلك الشعب ، وحقق أمله فى النبوغ . وأنهض ابا الهول بعد طول رقاده بجانب الفراعين الذين حققوا لربوعه الهدوء والدوم . ورمزوا به لقوة باسهم وشدة بطشهم ، ولم يحتاجوا بعد اليه وقد خضع الكل لسلطانهم فنام وملأ جفونه نوما ، الى ان شعر القوم باحتياجهم اليه فأنهضه مختار وجعله ينظر محدقا عازما شاهرا ما سوف يطلب منه اليوم وغدا

إن من لم يسمع لفظ فرعون من فيك يامختار لم يفقه من هو فرعون . . هو لفظ كنت تسوقه من شعورك العميق ينبىء بالقوة وبالجبروت

ومن لم يسمع منك لفظ الثورة التى قامت بهذا البلد الذى شعرت انك من ترابه او من التراب الذهبى لهؤلاء الفراعين ... من لم يسمعك تحدث عن الثورة بلفظها الذى كنت تنطق به فيصير تمثالا من صنع بصيرتك وحسك وقلبك الكبير ... ان من لم يسمعك لم يضطرب قلبه من هولها .

لم أرك يامختار الا وتلك الروح مخيمة عليك وظلت غذاءك ... وانت يامصر ، يا من تقفين بجانب القوة الناهضة ، انت الروح وابو الهول الجسد ، علام تنظرين ؟ ألى الشمس ام الى ابنائك ؟ ألى سلام ام الى حرب ؟

تخيلك على ضفاف السين وقلبه ينبض بحبك ـ تتمثل أجمل امرأة امام عينيه فلا يرى غيرك ، يطير بخياله اليك لانك الغاية . عاش ينشد حبك طول طريقه . هذا تقابك تحاولين فيه بيسراك حجب بعض الضوء ، لتحقق النظر وتعرف أسرار ماسياتى لك به القدر . . هذه الحركة المصرية الصميمة الشودة ستصدح مع الزمان . . .

تراك جميع المصريات فيتعرفنك ويعجبن ويفخرن ، لانك ترفعين الرأس الى السماء ، وتسفرين عن وجه لايدل على غير القوة واطمئنان الوصول الى الغاية التى تتطلبين الى ابنائك ، وعودك القوى هو هو ، صلب حار فيه اللب . . . أفنا أم كبرا أم مثالا يحتذى ؟ ام هو تراث من فخر مضى ؟ ...

كل من رآك يعرف أن قلبك قد من النورة ، وأن عينيك انفتحتا لهذا النور الذى كنت تتوقين اليه

هذه روحك يامختار تقرأها وسنقرأ كل يوم فيها جديدا ، و بعد آلاف السنين سيقرأون فيها جديدا .... ويطلب المصريون لك الرحمة حينما لايذكر من احياء اليوم الا القليل ..

ثم هادئا فقد أديت الرسالة

فن مختار ورسومه

أوجد مختار فنا خاصا وطبعه بطابع تكاد تتعرفه عندما تلقى بنظرك الى أية قطعة من قطعه البديعة التى خلفها ، ولتدرك ذلك الطابع تماما تصور ذلك الفنان القوى ، وقد نشأ فى قرية مصرية ، أفعم قلبه بحب الفلاحين ، وملأ عينيه من تلك التماثيل المصرية القديمة ، ثم من ذلك الفن المصرى فى جميع صوره ، وقد امتاز بالبساطة وجمال التنسيق وعدم الاكتراث بما يقع تحت الحس تماما ، غير ناظر الا الى الموضوع المطلوب تصويره فينتظم التصوير فى أسلوب واحد ، كان الجمال فيه لتلك الخطوط والمسطحات المنتظمة

أخذ الغربيون بذلك الفن عندما قاموا بتمثيل رموزهم العسكرية بعد الحرب العظمى ، فلا ترى الا مستويات لاتستوقف النظر ، إنما يحرض التمثال فكرك لتبحث فيه عن معنى ينبىء به

تلك كانت آية الفن عند قدماء المصريين ، فلما انتقل منهم الى اليونان فالرومان فالغرب أخيرا ، عمدوا الى تصوير الجمال كما يجب أن يكون فى الواقع لا فى الخيال ، فجمال المرأة أو الرجل صار تمثيلا لبعض النساء أو الرجال فعلا

وعند ما انتهت الحرب العظمى لم يرد الفنانون فى جميع العالم أن يتقيدوا بما كان نظاما وأسلوبا للفن فيما قبل الحرب ، وأخذوا يبحثون عن فن عصرى لم يستقر الى اليوم نظامه ، فانك ترى لهم فى كل يوم اتجاها وميلا .

اثناء تجاربهم هذه تطاير بعض الشرر الفنى من مقبرة

توت عنخ آمون ، فدققوا النظر من جديد فى ذلك الفن المصرى القديم ونحوا نحوه ، وصاروا لا يقفون فى التمثيل على ما يرون بعيونهم ، انما عمدوا الى الرمز فى النحت والتصوير لترسل مخيلتك فى البحث عما يرمزون ، فلا يقف نظرك على تفاصيل الجسم أو الرداء بل يلجئك الفنان الى البحث عما يريد من معنى ، وليس من السهل الوصول الى ما يريد والوقوف عليه . ويمتاز الفنان الماهر بأن يقدم لك ما تقرأ فيه كل يوم جديدا . ألم يحدثنا الصديق الدكتور طه حسين بأن هذا مانحا نحوه بعض شعراء الفرنسيين ؟ عاش مختار فى هـــذا الجو وأدرك سر الاقدمين المصريين ، فعمد بالمعاول الى رسم الطريق للمجددين ؛ وبعث من جديد فنا كان يشعر أنه يفيض من حبه لمصر ، فغنى على قيثارته (القاهرية) و (الفلاحة) و (بنت الشلال .)

أنظر الى تلك القاهرية تختال فى ردائها تجدها الملاك الطاهر فى حلم النائم لا تفتر تنظر اليها ، ولا يرتد نظرك عنها ، ثم تعاودك طيفا تحار فى فهم روحها ولا تجسر أن تبادرها بالسؤال .

أما بائعة الجبن فانك تراها فى صور الاقدمين ، لكنها لا تحمل شيئا بل ترمز الى الروح ، وهى رافعة ذراعيها على هـذا النمط . فقدها مختار من قطع بائعات الجبن جميعا ، فهى رقيقة حقا لكنه اعطاها الصلابة البرنزية وتركها للخلود ...

رأى مختار مثالا لشيخ البلد فى دار الآثار المصرية ، فكان جديرا بان يصنع مثالا لامرأته ، انظر اليها تجدها جمالا ووقارا يجلبان الاحترام وقوة معنوية تسحر اللب ....

وبنت الشلال هى تخليد بديع ملىء بروح ذلك العنصر من سكان الشلال ، اهتدى اليها مختار عند وادى الجرانيت فأنطقها ترنم بنشيد النيل والصحراء والشمس المحرقة والحياة الحزينة .....

وتلك المرأة فى القيلولة تجدها فى دار الآثار شبيها لها امرأة كانت تخبز ، غلب عليها النعاس امام الفرن فنامت . هى صورة لبعث القديم واحياء الجديد من الفن

عاش مختار سنين فى باريس ، وما كان يأمل فى الحياة بقدر ما كان يأمل أن يكون له بيت فى قرية مصرية بين تلك المصريات ويعبر عنهن بالملكات اللاتى أحب حركاتهن وسكناتهن ، يحملن الماء وغير الماء ، يأكل مما يحلو لهن أكله ، مرتديا ذلك السروال الواسع الاكمام

وما كان يلذ له التمتع بأى شىء وحيدا ، فان دعاه داع الى الغداء

السفسطائيون

للاستاذ زكى نجيب محمود

.... اذن فقد كانت آسيا الصغرى مهداً تقلب فيه الوليد الجديد وظل حينا يتعثر ، حتى استقام بعد لأى على قدمين لم ترسخا الا فى عصر شديد ، فقد حدثتك فى فصل سابق أن العقل الناشىء لم يكد يستيقن من وجوده ، حتى أرسل البصر يستطلع أصل الوجود ، وجاهد ما استطاع لكى يصل فى تعليله الى مبدإ معقول ، فالتمسه فى الماء والهواء ، ولكنه أفلس ، ثم عدل عن مادة الكون الى جوهره ومعناه ، فأفلس كذلك ، وهكذا لبث اليافع فى عثاره ، يستقيم ليكبو ، ويكبو ليستقيم ، حتى كانت غارة الفرس الداهمة ، التى اجتاحت المستعمرة اليونانية فى آسيا الصغرى ، ففزع الفلاسفة ربما ، وهاموا فى فجاج الارض فرادى يحملون قبس الفكر ، حتى انتهى طرف منهم الى بلاد اليونان ...

أنظر ! فهذى بلاد اليونان قد صاغها الله يدا مبسوطة ، كأنما تريد أن تلقف بأصابعها الناتئة فى مياه البحر حضارة القدماء من الجنوب والشرق ، بسطت كفها فتناولت من مصر مدنية كانت حينئذ قد بلغت شأوا بعيداً ، واستعارت من بابل وأشور وآسيا الصغرى شذرات منثورة من العلم والمعرفة .. وقد أراد الله لتلك

مثلا اشترط لذلك دعوة اخوانه جميعا وان لم يعرفهم جميعهم الداعى

لقد كان يحب ان يعيش بين القلوب لا بين الاجساد . ما عاش مختار لنفسه ، بل عاش للفن — ان كل ما نراه اليوم بمصر من جهود فنى ، هو فى الحقيقة اثر من آثاره — فقد كان المحرك لارسال البعثات الفنية ، وفى فتح مدرسة الفنون الجميلة ، وفى اقامة المعارض والاشادة بذكر الفنانين ، كان يحلم بايجاد ادارة للفنون تحت رياسة وكيل ثان للمعارف على نسق النظام المتبع فى فرنسا

وبالاختصار كان مختار روح الفن فى مصر نفثه فى جميع المصريين حتى نطقوا باسمه جميعا ، وصارت « نهضة مصر » عنوانا لكل صاحب مهنة وفن فى القاهرة ، وفى جميع القرى المصرية ، فكفاه تمجيدا تمجيده ليوم من ايام مصر .

سامى كمال